المادة :علوم قران

مدرس المادة: م.م. باسم محمد حسن

قسم الاديان المقارنة

المحاضرة الاولى

التعريف بالعلم وبيان نشأته وتطوره:

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز، أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان صلوات الله وسلامه عليه يبلغه لصحابته -وهم عرب خلص- فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله ﷺ عنها.

روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: "لما نزلت هذه الآية: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}

، شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: {إن الشرك لظلم عظيم، إنما هو الشرك".

وكان رسول الله ﷺ يفسر لهم بعض الآيات.

أخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول وهو على المنبر: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}، "ألا إن القوة الرمي".

وحرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله -ﷺ- وحفظه وفهمه، وكان ذلك شرفا لهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: "كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا" أي عظم.

وحرصوا كذلك على العمل به والوقوف عند أحكامه.

أسماؤه وأوصافه:

وقد سماه الله بأسماء كثيرة:

منها "القرآن". {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}.

و"الكتاب". {لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم}.

و"الفرقان". {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}.

و"الذكر".. {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}..

و"التنزيل".. {وإنه لتنزيل رب العالمين}

إلى غير ذلك مما ورد في القرآن.

وقد غلب من أسمائه: "القرآن" و"الكتاب"، قال الدكتور محمد عبد الله دراز:

"روعي في تسميته "قرآنا" كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته "كتابا" كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه".

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها. بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند"٣.

وبين سر هذه التفرقة بأن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته، وكان سائرا مسيرها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلقيام الساعة، وإذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه -وهو الحكيم العليم- وهذا تعليل جيد.

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك:

منها "نور".. {يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا}

و"هدى" و"شفاء" و"رحمة" و"موعظة".. {يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين}

و"مبارك".. {وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه}

و"مبين".. {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين}

و"بشرى".. {مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين}

و"عزيز".. {إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز}

و"مجيد".. {بل هو قرآن مجيد}

و"بشير" و"نذير".. {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا}

وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني القرآن.

نزول القرآن:

أنزل الله القرآن على رسولنا محمد -ﷺ- لهداية البشرية، فكان نزوله حدثا جللا يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض، فإنزاله الأول في ليلة القدر أشعر العالم العلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة الجديدة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وتنزيله الثاني مفرقا على خلاف المعهود في إنزال الكتب السماوية قبله آثار الدهشة التي حملت القوم على المماراة فيه، حتى أسفر لهم صبح الحقيقة فيما وراء ذلك من أسرار الحكمة الإلهية، فلم يكن الرسول -ﷺ- ليتلقى الرسالة العظمى جملة واحدة ويقنع بها القوم مع ما هم عليه من صلف وعناد، فكان الوحي يتنزل عليه تباعا تثبيتا لقلبه، وتسلية له، وتدرجا مع الأحداث والوقائع حتى أكمل الله الدين، وأتم النعمة

نزول القرآن جملة:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}

ويقول: {إنا أنزلناه في ليلة القدر}

ويقول: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة}

ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، إنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث نزل القرآن عليه في ثلاث وعشرين سنة.. وللعلماء في هذا مذهبان أساسيان:

لمذهب الأول: وهو الذي قال به ابن عباس وجماعة وعليه جمهور العلماء: أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا تعظيما لشأنه عند ملائكته، ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا محمد -ﷺ- في ثلاث وعشرين سنة١ حسب الوقائع والأحداث منذ بعثته إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه، حيث أقام في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنوات: فعن ابن عباس قال: "بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين"

وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات:

أ- عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر. ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}

{وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا}

ب- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي، ﷺ"٥.

جـ- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله -ﷺ- بعضه في إثر بعض".

د- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجوما".

٢- المذهب الثاني: وهو الذي روي عن الشعبي أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله -ﷺ- فقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة، فليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله منجما على رسول الله -ﷺ- لأن هذا هو الذي جاء به القرآن: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} ٣، وجادل فيه المشركون الذين نقل إليهم نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} ٤. ولا يظهر للبشر مزية لشهر رمضان وليلة القدر التي هي الليلة المباركة إلا إذا كان المراد بالآيات الثلاث نزول القرآن على رسول الله -ﷺ- وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى بغزوة بدر: {وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير} ٥. وقد كانت غزوة بدر في رمضان. ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي، عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله -ﷺ- من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة -رضي الله عنها- فتزوده لمثلها، حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله، ﷺ: "فقلت: ما أنا بقارئ وهناك مذهب ثالث: يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر٢ في كل ليلة منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي ينزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة ينزل بعد ذلك منجما على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جميع السنة.

وهذا المذهب اجتهاد من بعض المفسرين، ولا دليل عليه.

أما المذهب الثاني الذي روي عن الشعبي فأدلته -مع صحتها والتسليم بها- لا تتعارض مع المذهب الأول الذي روي عن ابن عباس. فيكون نزول القرآن جملة وابتداء نزوله مفرقا في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة.

فالراجح أن القرآن الكريم له تنزلان:

الأول: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

والثاني: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقا في ثلاث وعشرين سنة.

وقد نقل القرطبي عن مقاتل بن حيان حكاية الإجماع على نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. ونفى ابن عباس التعارض بين الآيات الثلاث في نزول القرآن والواقع العملي في حياة الرسول -ﷺ- بنزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة بغير شهر رمضان

نزول القرآن منجما:

يقول تعالى في التنزيل: {وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين}

ويقول: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين}

ويقول: {تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم}

ويقول: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله} ويقول: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين}

فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله -ﷺ- وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى سماء الدنيا، فالمراد به نزوله منجما، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل، فالتنزيل لما نزل مفرقا، والإنزال أعم

وقد نزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة على الرأي الراجح، وعشر بالمدينة، وجاء التصريح بنزوله مفرقا في قوله تعالى: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا}

أي جعلنا نزوله مفرقا كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلا بحسب الوقائع والأحداث.

أما الكتب السماوية الأخرى -كالتوراة والإنجيل والزبور- فكان نزولها جملة، ولم تنزل مفرقة، يدل على هذا قوله تعالى: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا}

فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية السابقة نزلت جملة، وهو ما عليه جمهور العلماء، ولو كان نزولها مفرقا لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول

القرآن منجما، فمعنى قولهم: {لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة} : هلا أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب؟ وماله أنزل على التنجيم؟ ولم أنزل مفرقا؟ ولم يرد الله عليهم بأن هذه سنته في إنزال الكتب السماوية كلها كما رد عليهم في قولهم: {وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق} بقوله: {وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق}

وكما رد عليهم في قولهم: {أبعث الله بشرا رسولا}

بقوله: {قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا} ٣، وقوله: {وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم} ٤، بل أجابهم الله تعالى ببيان وجه الحكمة في تنزيل القرآن منجما بقوله: {كذلك لنثبت به فؤادك} أي كذلك أنزل مفرقا لحكمة هي: تقوية قلب رسول الله {ورتلناه ترتيلا} أي قدرناه آية بعد آية بعضه إثر بعض، أو بيناه تبيينا، فإن إنزاله مفرقا حسب الحوادث أقرب إلى الحفظ والفهم وذلك من أعظم أسباب التثبيت.

والذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات في أول المؤمنين جملة، وصح نزول: {غير أولي الضرر} وحدها وهي بعض آية".